التّناغم الإعجازيّ لصوت الكلمة القرآنيّة مع السّياق

(دراسة بيانيّة في النّماذج)

The miraculous harmony of the sound of the Quranic word with the context

د. محمد بن أحمد

جامعة لونيسي علي/ البليدة 2/ الجزائر oubid13.bm@gmail.com

تاريخ الارسال 2023/01/05	تاريخ القبول2023/03/29.	تاريخ النشر2023/04/15

الملخص	**Abstract**
تبحث هذه الورقات في أحد وجوه إعجاز القرآن الكريم والمتمثل في مكامن ذلك التناغم العجيب بين أصوات الكلمات وتأثيرها في دلالة السياق، ودورها الفعال في تقريب الفهم للمتلقي، ورسم الصورة الكاملة التي تعرضها الآيات القرآنية، من خلال ذلك الترابط والانسجام بين جرس حروف الكلمة، والدلالة العامة التي ينتجها الخطاب القرآني	These papers research at one of the aspects of the miracle of the Holy Quran, It is represented in the sources of that amazing harmony between the sounds of words and their impact on the contextual significance, And its role in bringing understanding to the recipient, And draw the full picture presented by the Quranic verses, Through that interdependence and harmony between the timbre of the letters of the word, and the general significance produced by the Quranic discourse.

كلمات مفتاحية: الكلمة القرآنية؛ التناغم؛ الصوت؛ الدلالة؛ السياق	**Keywords** :the Quranic word; harmony; the sound; indication; Context

المؤلف المرسل بن أحمد محمد، الإيميل: oubid13.bm@gmail.com

1. مقدمة:

يعد النص القرآني بما يحمله من ثراء معرفي في جوانبه المختلفة محفزا لكثير من الدارسين، ولعل أهم هذه الجوانب التي لقيت العناية والتحقيق ما تعلق بالكشف عن وجوه إعجازه، وأسرار تناسقه وانسجامه، وقد حبّر في هذا الباب كثير من العلماء قديما وحديثا، فبحثوا في إعجازه عبر كل مستويات اللغة بيانيا وبلاغيا، وأسلوبيا، على مستوى الحرف، والكلمة، والتركيب، إلا أن وجه التحدي الذي لا يجب التغافل عنه، هو ما يفعله القرآن الكريم بالنفس عندما تطرق كلماته الأسماع، وتخالط ذبذبات إرسالاته الروحانية شغاف القلوب فتأخذ بالألباب، وتستحوذ على النفوس فتأسرها، حين تتحدث عن دواخلها وتكشف طبائعها بطريقة تعجز عن الإفصاح عنه التعابير البشرية، وهذا ما يعرف بالإعجاز النفسي أو التأثيري، وهو باب مهيب واسع من أبواب الإعجاز، لم يلق العناية الكافية من لدن الباحثين، يقول الإمام الخطابي(ت388هـ)" في إعجاز القرآن وجها آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، ويتمثل هذا الجانب في صنيعه في القلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما أو منثورا إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، وفي الروعة والمهابة في أخرى، ما يخلص من القرآن إليه"([1])

ولما كان هذا الوجه الإعجازي يشمل كل القرآن الكريم من أوله إلى آخره، إذ لا يمكن لهذه الورقات أن تفيه حقه ارتأيت أن أحقق له من خلال عرض نماذج على مستوى الجرس المقصود الذي يتولد من الكلمة القرآنية حين تتناغم مع الوحدات المفاهيمبة المتتالية و المترابطة التي تكوّن السياق أو الفكرة العامة التي تطرحها الآيات القرآنية في أغراضها البلاغية المتعددة. وهو ما أطلق عليه الرافعي بإعجاز النظم الموسيقي في القرآن، وأنه مما لا يتعلق به أحد، ولا ينفق على ذلك الوجه الذي هو فيه إلا فيه ([2])، ثم يؤكد الرافعي – في كلام دقيق – على أن التنويعات الصوتية التي تحدثها كلمات القرآن، وإيحاءاتها البلاغية هي العامل الأساس في الانفعالات النفسية التي تحدث للمتلقي يقول:" وليس يخفى أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت، بما يخرجه فيه مدًّا أو غنة أو لينًا أو شدة، وبما يهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها، ثم هو يجعل الصوت إلى الإيجاز والاجتماع، أو الإطناب والبسط، بمقدار ما يكسبه من الحدة والارتفاع والاهتزاز وبعد المدى ونحوها، مما هو بلاغة الصوت في لغة الموسيقا" ([3])، وهو ما يعرف عند الدارسين بجرس الكلمة، وهو نغمتها وصوتها وإيقاعها، الذي يحصل نتيجة تلاؤم بين حروفها وائتلاف

هذه الحروف، وتوافق أصواتها، وحلاوة جرسها ([4])، وهو مظهر من مظاهر إعجاز اللفظ القرآني في تصويره المعاني بجرسه، وبناء على ماسبق يمكن طرح الإشكالية الاآتية: ما وجه إعجاز الكلمة القرآنية ؟، وما هو الدور الذي يلعبه جرسها الموسيقي في إيضاح المعنى وتقريبه، خدمة للفكرة العامة التي يحاول السياق توصيلها؟ .

2. أصالة الكلمة في التعبير القرآني

إن الكلمة المفردة جزء من التركيب، ووحدة من وحدات بناء النظم، يعتريها الجمال والقبح، والغرابة بما تؤديه من وظيفة في موضعها من السياق الذي وضعت فيه إن على مستوى الدلالة العامة التي تحملها معجميا أو على مستوى الدلالة الخاصة التي تتكفل بأدائها مع الكلمات الأخرى المكونة للسياق، وهذه في حقيقة الأمر ليست الوظيفة كلها المنوطة بالكلمة أي الدلالة المورفولوجية فقط على المستوى الخارجي للكلمة، وإنما يضاف إليها ذلك الجرس الموسيقي الإيحائي الذي تحدثه مخارج حروفها علة المستوى الداخلي، يقول ابن الأثير:" إن الألفاظ داخلة في حيز الأصوات، فالذي يستلذه السمع منها ويميل إليه هو الحسن، والذي يكرهه وينفر عنه هو القبح" ([5])، وقد عرفت الكلمة عند بعضهم بحدها الداخلي بأنها "جرس صوتي مقطع بنظام" ([6])، وقد أطلق رتشاردز على الجرس تسمية (الصورة السمعية) وأنه "يندر أن تحدث الاحساسات المرئية للكلمات بمفردها، إذ تصحبها أشياء ذات علاقة وثيقة بها، بحيث لا يمكن فصلها عنها بسهولة، وأهم هذه الأشياء (الصورة السمعية) أي وقع جرس الكلمة على الأذن الباطنية، أو أذن العقل"([7])

إن كل هذه الميزات الممجوجة التي تشوب الكلام البشري لا يمكن بحال أن تجدها في الكلمات التي يتألف منها التعبير القرآني، إذ اللفظة القرآنية في محلها تؤدي المعنى وتفيه حقه من جميع جوانبه الداخلية والخارجية، وهي أصيلة في مقامها لا يمكن استبدالها بغيرها ولو أدرت عليها كل مفردات اللغة، وإلا أدى ذلك إلى فساد المعنى واختلال الانسجام الحاصل بين الكلمات في السياق، وفي هذا الباب يقول الخطابي ان اللفظ القرآني:" إذا أبدل مكانه غيره جاء منه: إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإمَّا ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة، ذلك أنَّ في الكلام ألفاظًا متقاربة في المعاني، ويحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب كالعلم والمعرفة، والحمد والشكر، والبخل والشح، والامر فيها وفي ترتيبها عند أهل اللغة بخلاف ذلك " ([8])، وقد لامس الرافعي سر هذا الإعجاز الموسيقي بقوله:" فتألقت كلماته من حروف لو سقط واحد منها أو أبدل بغيره أو أقحِم معه حرف آخر، لكان ذلك خللاً

بيناً، أو ضعفاً ظاهراً في نسق الوزن وجرس النغمة، وفي حِسِّ السمع وذوق اللسان، وفي انسجام العبارة وبراعة المخرَج وتَسانُد الحروف وإفضاء بعضها إلى بعض، ولرأيت هُجنة في السمع، كالذي تنكره من كل مَرئي لم تقع أجزاؤه على ترتيبها، ولم تنفق على طبقاتها، وخرج بعضُها طولاً وبعضُها عرضاً، وذهب ما بقي منها إلى جهات متناكرة " ([9])، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على المكانة الراسخة التي تحوزها الكلمة القرآنية في السياق الذي وضعت فيه، وهو الإتقان الرباني الذي لا تطيقه القدرة البشرية القاصرة، ولا تستطيع بلوغه، " قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (سورة الإسراء/ الآية 88)، " لأن الله سبحانه وتعالى قد علم أي لفظة أصلح أن تكون في الموضع الذي وضعت فيه دون غيرها من مفردات اللغة، يقول القرطبي في تفسيره:" إن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علما، وأحاط بالكلام كله علما، فعلم بإحاطته أي لفظة نصلح أن تلي الأولى، وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره" ([10])، ولعله السر الذي يجعل التعبير القرآني يسموا علوا ، ويزداد انسجاما وجمالا، من خلال الرصف الذي يحدث من تتابع كلماته ، وتدفق معانيها، "فالكلمةُ القرآنية لها مزية لا تجدُها في الكلمات التي يتكون منها كلامُ العامة وتعابيرُهم مهما سمت في مدارج البلاغة والبيان، فهي تتناول من المعنى سطحَه وأعماقَه وسائرَ صوره وخصائصه، وهي تمتاز عن سائر مفرداتها اللغوية بتطابق أتم مع المعنى المراد فمهما استبدلت بها غيرها لم يسُد مَسدها، ولم يؤد الصورة التي تؤديها" ([11])، إذ التصوير بالكلمة والعبارة هو الآلة المفضلة للتعبير القرآني حين يجعل المحسوس الذي لا يرى ماثلا أمامك، وذلك بإخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة، من دون تعسف ولا إكراه تضيق به النفس، بل هو من عجيب " أمر هذا الحس الذي يتمثل في كلمات القرآن انه لا يسرف على النفس ولا يستفرغ مجهودها، بل هو مقصد كل أنواع التأثير عليها، فلا تضيق به ولا تنفر منه، ولا يتخولها الملل" ([12])، نتيجة اتساق وتلاؤم نسيج الكلمات الصوتي ، "وجمال وقعها في السمع، وخلوها من التنافر، واستغلالها الجرس الموسيقي للكلمة وما تحويه من ظلال للمعاني في إثراء معنى الكلمة، والإيحاء بمضمونها قبل أن يوحي مدلولها اللغوي" ([13])

فالفظة القرآنية حين تلتقطها الأسماع تدغدغ الخيال فتحركه لينتج تصورا معينا يتماشى مع سياق الآية الذي يحدده ويتحكم فيه، فيعمل على توضيح واستجلاء المعاني التصورية للحاق أو ما يأتي من الخطاب وهكذا دواليك يكون تركيب الصور عبر تتابع الكلمات واحدة تلو الأخرى، قطعة قطعة، حتى تكتمل

فسيفساء الصورة الكاملة وتتم وحدة الخطاب، انطلاقا من التصوير بالكلمة التي يعرفها القرطبي بأنها :" الصورة القائمة بجميع ما يختلط بها من شبهات" ([14])

وسوف نورد في ما سيأتي من هذا البحث طائفة من النماذج التي توضح تلك العلاقة الكامنة بين الجرس الذي يحدثه صوت الكلمة القرآنية وانسجامه مع الفكرة التي توردها الآية وتأثيره في بناء الجمل المفاهيمية العامة التي يطرحها السياق.

3. نماذج قرآنية في التناغم الصوتي للكلمة مع الدلالة السياقية للتعبير القرآني

إن الإعجاز الصوتي للكلمة القرآنية الذي يأتي على هيئة خاصة من البناء والتشكل يؤدي إلى اتساق ومواءمة عجيبة بين أصوات الكلمة والكلمات المشكلة للحملة مما يسمح بسرعة تقبل العقل لها وتقريب فهمها، وهو ما يدفعنا إلى محاولة الكشف عن تلك العلاقة المترابطة بين الإيقاع الموسيقي الذي يحدثه صوت الكلمة القرآنية ودلالتها إما عن طريق محاكاة أو بواسطة الإيحاء المرتبط بالجوانب النفسية المستوحاة من مخارج الحروف وصفاتها، فالإيقاع "يتجاوز المظاهر الخارجية إلى الأسرار التي تصل بين النفس والكلمة بين الإنسان والحياة" ([15])، وحتى تكتمل الصورة وجب الاستعانة بالجانب البلاغي الذي يساعدنا في استجلاء تلك الجمالية التي تتولد عن العلاقة بين جرس الكلمة ودلالة سياقها في التعبير القرآني.

كثيرا ما يعتمد الأسلوب القرآني على التصوير بالمحاكاة أو حركة الصورة المجسمة التي ترسمها الكلمة يقول سيد قطب عن هذا التصوير بنغم الكلمة:" أنه تصوير باللون، وتصوير بالحركة، ونصوير بالتخييل، كما أنه تصوير بالنغمة يقوم مقام اللون في التمثيل، وكثيرا ما يشترك الوصف والحوار، وجرس الكلمات، ونغمِ العبارات، وموسيقى السياق، في إبراز صورة من الصور، تتملاها العين والأذن والحس والخيال، والفكر والوجدان " ([16])

فقد تستقل كلمة واحدة في القرآن برسم المشهد واكمال الصورة إما بجرسها الذي يصل السمع إما بظلالها التي ترتسم على الخيال، وإما بهما جميعا ومن ذلك لفظة (**إثاقلتم**) في قوله تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ " (سورة التوبة/ الآية 38) ، فكلمة اثاقلتم أصلها تثاقلتم ادغمت التاء في الثاء لقربها منها، فقلبت التاء المثنّاة ثاء مثلّثة لتقارب مخرجيهما طلباً للإدغام، واجتلبت همزة الوصل

لإمكان تسكين الحرف الأول من الكلمة عند إدغامه (والتثاقل) تكلّف الثقل، أي إظهار أنّه ثقيل لا يستطيع النهوض ([17])

فحينما تسمع الأذن كلمة "اثّاقلتم" في قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ} يتصور الخيال ذلك الجسم المثاقل، يرفعه الرافعون في جهد، فيسقط من أيديهم في ثقل. إن في هذه الكلمة "طنًّا" على الأقل من الأثقال! ولو أنك قلت: تثاقلتم، لخف الجرس، ولضاع الأثر المنشود، ولتوارت الصورة المطلوبة التي رسمها هذا اللفظ، واستقل برسمها." ([18])

إن كلمة اثاقلتم هذه قد أوفت بكل ما يمكن أن يحمله معنى السياق التوبيخي في حق الذين كرهوا أن يجاهدوا في سبيل الله فحروفها المدغمة التي يتثاقل اللسان في نطقها، وجرسها البطيء الذي يومئ ببطء الحركة والركون والتخاذل، قد أدت من الدلالة ما تعجز عن أدائه العبارات والجمل، حين أوحت بكل تلك الأثقال التي تكبل المرء، "إنها ثقلة الأرض، ومطامع الأرض، وتصورات الأرض، ثقلة الخوف على الحياة، والخوف على المال، والخوف على اللذائذ والمصالح والمتاع. ثقلة الدعة والراحة والاستقرار وثقلة الذات الفانية والأجل المحدود والهدف القريب.. ثقلة اللحم والدم والتراب.. والتعبير يلقي كل هذه الظلال بجرس ألفاظه {اثّاقلتم}. وهي بجرسها تمثل الجسم المسترخي الثقيل، يرفعه الرافعون في جهد فيسقط منهم في ثقل! ويلقيها بمعنى ألفاظه: {اثاقلتم إلى الأرض} وما لها من جاذبية تشد إلى أسفل وتقاوم رفرفة الأرواح وانطلاق الأشواق" ([19])، وبذلك فإن كلمة اثاقلتم جاءت حاملة لمعاني سياقها وليست محمولة عليه فاستحقت بذلك أن توصف بالكلمة الصورة.

ومن جملة الكلمات القرآنية التي نحمل معنى الآية وتكمل رسم الصورة الكاملة كلمة (**يصطرخون**) من قوله تعالى:" وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُور وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ "(سورة فاطر/ الآية 36-37)

والصراخ شدة الصياح، واستعمل في لاستغاثة لجهة المستغيث صوتًه قال الشاعر: ([20])

وطُولُ اصْطِراخِ المرْءِ في بُعْدِ قَعْرِها *** وجُهْدُ شَقِيٍّ طالَ في النّارِ ما عَوى

فكلمة يصطرخون "اِفْتِعالٌ مِنَ الصُّراخِ وهو شَدَّةُ الصِّياحِ والأصْلُ يَصْتَرِخُونَ فَأُبْدِلَتِ التّاءُ طاءً ويُسْتَعْمَلُ كَثِيرًا في الِاسْتِغاثَةِ لِأنَّ المسْتَغِيثَ يَصِيحُ غالِبًا"([21])، وفي ابدال حرف الطاء بحرف التاء من المناسبة للمقام، ووصف الحال لأن حرف الطاء أقوى حروف الهجاء لان جميع صفاته صفات قوة فهو حرف من

صفاته الجهر، والشدة، وهو يناسب الحالة الذي عليه حال الكفار في النار من الكرب والشدة ،والجدول الآتي يبين أوجه الاختلاف بين السمات الصوتية لحرفي الطاء والتاء

الكلمة	أوجه الاختلاف	مقارنة بين السمات الصوتية للحرفين المختلفين					
		المخارج	الصفات				
يصترخون	ت	طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا	الهمس	الشدة	الإستفال	الإنفتاح	الإصمات
يصطرخون	ط	طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا	الجهر	الشدة	الإستعلاء	الإطباق	الإصمات

فاختلاف صوت الطاء عن صوت التاء يكمن في أن حرف الطاء يمتاز بالجهر والاستعلاء، والإطباق، وتوظيفه في الآية فيه ايحاء بأن الجهر بالصراخ في شدة الإطباق قد بلغ ذروته، وأن الشدة و الجزع قد بلغ مداه، وهو ما ناسب الآية وزاد في دقة تصوير المشهد وتقوية المعنى من خلال النغمة التي يحدثها توالي جرس حروف كلمة يصطرخون، التي تكلأ السمع، وتوقد الحس، وتذهب بالخيال كل مذهب، من خلال ما يصل النفس من ظلال الصورة، وهول المشهد. " فيخيل إليك جرسها الغليظ غلظ الصراخ المختلط المتجاوب من كل مكان، المنبعث من حناجر مكتظة بالأصوات الخشنة. كما تلقى إليك ظل الإهمال في هذا الاصطراخ الذي لا يجد من يهتم به أو يليه، وتلمح من وراء ذلك كله صورة ذلك العذاب الغليظ الذي هم فيه يصطرخون" ([22])

ومن الآيات التي تصور مشاهد يوم القيامة تستوقفنا على كلمة (كبكبوا) في قوله عز وجل:" فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ "(سورة الشعراء/ الآية 94)، فتكرار حرف الكاف في الكلمة ذات الوزن الصرفي الرباعي (فعلل) له دلالة قوية في المعنى وقديما قيل إن كل زيادة في المبنى زيادة في المعنى، يقول الزمخشري في تفسيره:" والكبكبة: تكرير الكب، جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى، كأنه إذا ألقى في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقرّ في قعرها " يقول حسان يصف حال قتلى بدر وقد كبوا في القليب ([23])

يناديهم رسول الله لما *** طرحناهم كَبَاكِبَ في القَلِيب

فالتعبير في الآية بصيغة (كبكبوا) أبلغ من صيغة (كبوا) وفيه دلالة على الكب العنيف والمتكرر، كما أن تكرار صوت الكاف يضفي صوتا موسيقيا شكل بنية أساسية في البنية الصوتية للتركيب اللساني للآية، "وإنما لنكاد نسمع من جرس اللفظ صوت تدافعهم، وتكافئهم، وتساقطهم بلا عناية ولا نظام، وصوت الكركبة الناشئ من الكبكبة، كما ينهار الجرف فتتبعه الجروف، فهو لفظ مصور بجرسه لمعناه"([24])، "فهو تصوير باللون , وتصوير بالحركة وتصوير بالتخييل , كما أنه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل , وكثيرا ما يشترك الوصف والحوار , وجرس الكلمات , ونغم العبارات , وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور"، حيث يلعب نغم الكلمات دورا أساسا رسم المشهد، ووضع خيال المشاهد عبر السياق في جو الحدث.

وفي سورة النجم كلمة غريبة تثير انتباه القارئ بجرس حروفها في سياق المقاطع القصيرة المتوازنة، المسترسلة فواصلها في انسياب وهدوء من مطلع السورة إلى أن تصطدم بكلمة، " هي أغرب ما فيه، وما حسنت في كلام قط إلا في موقعها منه، وهي كلمة (**ضيزى**) في قوله نعالى:" تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى " (سورة النجم/ الآية 22) ومع ذلك فإن حسنها في نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه".([25])

فكلمة ضيزى جاءت في متن آيات سورة النجم لتؤدي نَكتًا معنوية خاصة في السياق، وتؤدي تناسبا في الإيقاع، دون أن يطغى هذا على ذاك، أو أن يخضع النظم للضرورة، ومرد ذلك كله إلى الحس الداخلي، والإدراك الموسيقي([26]) الذي يطغى على الجو العام للسورة، فكان هذا التصوير أبلغ ما في البلاغة، وخاصة في اللفظة الغريبة التي تمكنت في موضعها من الفصل، ووصفت حالت المتهكم في إنكاره، فكأن في تأليف حروفها معنى حسيا، وفي تأليف أصواتها معنى مثله في النفس، وإن تعجب فعجب لنظم هذه الكلمة الغريبة وائتلافها على ما قبلها إذ هي مقطعان، أحدهما مدّ ثقيل والآخر مدّ خفيف، وقد جاءت عقب غُنّتين في ''إذن'' و''قسمة'' إحداهما خفيفة حادة، والأخرى ثقيلة متفشية فكأنها بذلك ليست إلا مجاوبة صوتية لتقطيع موسيقي ([27])، وذلك من حلاوة القرآن النابعة من أصوات ألفاظه التي توحي إلى السمع وتجعل الفهم قريبا إلى المتلقي، وتدفعه إلى إنكار تلك القسمة الجائرة .

وقريب من غرابة كلمة ضيزى، كلمة (الزقوم) التي جاء ذكرها في ثلاثة مواضع من سور القرآن الكريم، في سورة الصافات ا قوله تعالى:" *أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ* (62) *إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ* "(سورة الصافات/ الآية 62-63) وثالث المواضع في سورة الواقعة في قوله نعالى:" ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (51) لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (52) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (53) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ

(54) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ " (سورة الواقعة/ الآية 51–55) ، وفي سورة لدخان في قوله عز وجل: " *إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ، طَعَامُ الْأَثِيمِ*، كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ، كَغَلْيِ الْحَمِيمِ " (سورة الدخان/ الآية 43–46)، وفي التسمية يقول صاحب تفسير التحرير والتنوير:" وقَدْ سَمّاها القُرْآنُ بِهَذِهِ الإضافَةِ كَأنَّها مُشْتَقَّةٌ مِنَ الزُّقْمَةِ بِضَمِّ الزّاءِ وسُكُونِ القافِ وهو اسْمُ الطّاعُونِ" ([28])، إنها كلمة ما إن يلمس جرسها الأذان حتى تمجها الأسماع، وتهرب منها النفس، وكأن طعمها العلقم قد وصلك مذاقه المر، واللفظ نفسه يصور جرسه ملمسا خشنا شائكا مدببا يمزق الأيدي، وأن طلعها الذي كأنه رؤوس الشياطين، يخز الحلوق والبطون([29])، وهنا يتضح كيف أسهمت كلمة الزقوم في رسم الصورة المفزعة بجرسها قبل مدلولها اللغوي، ليشتركا بذلك في تفتيق المعنى، وإخراجه بصورته الكاملة.

4. خاتمة

بعد هذا التطواف في كتاب الله عز وجل، في محاولة لبحث حقيقة الانسجام الحاصل بين الكلمات وأصواتها داخل نسيج التركيب المفاهيمي للخطاب القرآني، يمكننا القول نتيجة أن الكلمة في سياق الآية لم تأت عفوا وإنما جاءت لتؤدي مهمة محددة بتركيبها المورفولوجي، وجرس حروفها الموسيقي اللذان يشتركان في عملية ايضاح الدلالة، وتقريب فهم مضمون الخطاب، إما عن طريق المحاكاة أو بواسطة النغم الموسيقي الذي تصدره، بل إن بعض الكلمات قد تحمل المعنى كله، وتكون مفتاحا أساسيا في رسم صورته الكاملة، إذ لا يمكن فهمه إلا من خلالها

كما أن الكلمة القرآنية تتناغم جرسا مع معاني الترغيب والترهيب، والتقريع، والوعيد، والوعظ والتوجيه، وهو أحد الجوانب البارزة في وجوه إعجاز القرآني الكريم الذي يؤثر في النفوس ويجعلها تنجذب إليه طوعا، وهذا بفعل تنوع الإيقاع بتنوع الدلالة بين الشدة والرخاوة، ومن إيقاع سريع الحركة إلى إيقاع بطيء الحركة تبعا لتنوع موضوعات الخطاب,

هذا؛ ولا يزال البحث في هذا المجال بكرا يحتاج لمزيد من الدراسة خاصة مع ظهور تقنيات علمية حديثة، تقوم بها مخابر حوسبة اللغة، والذكاء الاصطناعي التي قد تسهم في دخول عوالم جديدة لم يكشف عن أسرارها بعد، والتي ستفتح آفاقا بكرا في معالجة النص القرآني في مستوياته العميقة والدقيقة.

5 هوامش البحث

[1]. أبو سليمان، الخطابي، كتاب بيان إعجاز القرآن (ضمن كتاب ثلاث رسائل في الإعجاز)، تحقيق:محمد خلف الله و محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، 1976م، ص70

[2]. مصطفى، الرافعي، اعجاز القرآن والبلاغة النبوية، تحقيق: الجويدي درويش، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2003م، ص177

[3]. المرجع نفسه.، ص177

[4]. قويدر، قيطون مقال دور جرس اللفظة القرآنية في التناسق الفني في آيات البعث والحشر في القرآن الكريم، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد6، العدد6، 2014م ، ص46

[5]. ضياء الدين، ابن الأثير، المثل السائر،ج1، تحقيق أحمد الحوفي، دار نهضة مصر للطباعة، مصر، (د.ت)، ص91

[6]. أمين الخولي ، فن القول، تحقيق صلاح فضل، مطبعة دار الكتب المصرية،مصر،ط1، 1966م ،ص203

[7]. أرمسترونك، ردشاردز، مبادئ النقد الأدبي، ترجمة: محمد مصطفى بدوي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، 2005م، ص 170.

[8]. أبو سليمان، الخطابي، كتاب بيان إعجاز القرآن، ص29

[9]. مصطفى، الرافعي، اعجاز القرآن ، ص179

[10]. أبو عبد الله، القرطبي، تفسير الجامع لأحكام القرآن، ج1، تحقيق عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2006م، ص120.

[11]. سعيد، البوطي، من روائع القرآن، مكتبة الفرابي، دمشق،ط2007،1م، ص165

[12] مصطفى، الرافعي، اعجاز القرآن ، ص183

[13]. أحمد مختار عمر، لغة القرآن دراسة توثيقية فنية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ط3، 1418هـ، ص141

[14]. أبو عبد الله، القرطبي، تفسير الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص108

[15]. أدونيس، مقدمة للشعر العربي، دار العودة، بيروت، ط4، 1986م، ص94

[16] قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، مصر، ط17، 2004م، ص37

[17] الطاهر، بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير،ج10، الدار التونسية للنشر، تونس،ط1، 1984م، ص198

[18]. قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، ص 91، 92

[19]. قطب، سيد، في ظلال القرآن،ج3، دار الشروق، مصر،2003م، ص1655

[20]. أبو حيان، التوحيدي، تفسير البحر المخيط، ج7، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1993م، ص 301

[21]. شهاب الدين، الألوسي، تفسير روح المعاني، ج22، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، د.ت، ص200)

[22] قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، ص92

[23] (ابن ثابت، حسان، الديوان،، ذار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1994م، ص25

[24]. (قطب، سيد، مشاهد القيامة في القرآن، دار الشرق، مصر، ط16، 2006م ، ص133-134

[25] مصطفى، الرافعي، اعجاز القرآن ،ص188-189

[26]. ينظر: قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، ص104

[27]. ينظر: مصطفى، الرافعي، اعجاز القرآن ، ص 189

[28] الطاهر، بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير،ج23، ص123

[29] قطب، سيد، مشاهد القيامة في القرآن، ص131، 180

6. قائمة المراجع:

1. أبو سليمان، الخطابي،، 1976م،كتاب بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، دار المعارف، مصر

2. مصطفى، الرافعي، 2003م اعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المكتبة العصرية، بيروت

3. قويدر، قيطون، 2014م ، مقال دور جرس اللفظة القرآنية في التناسق الفني في آيات البعث والحشر في القرآن الكريم، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الوادي، الجزائر، المجلد6، العدد6، ص46

4. ضياء الدين، ابن الأثير،(د.ت)، المثل السائر، تحقيق أحمد الحوفي، دار نهضة مصر للطباعة، مصر.
5. أمين، الخولي، 1966م، فن القول، مطبعة دار الكتب المصرية، مصز
6. أرمسترونك، ردشاردز، 2005م، مبادئ النقد الأدبي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر.
7. أبو عبد الله، القرطبي، 2006م، تفسير الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت
8. سعيد البوطي، 2007م، من روائع القرآن، مكتبة الفرابي، دمشق.
9. أحمد مختار عمر، 1418هـ، لغة القرآن دراسة توثيقية فنية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت.
10. أدونيس، 1986م، مقدمة للشعر العربي، دار العودة، بيروت.
11. قطب، سيد،2004م، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، مصر.
12. الطاهر، بن عاشور، 1984م تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس.
13. قطب، سيد، 2003م، في ظلال القرآن، دار الشروق، مصر.
14. أبو حيان، التوحيدي، 1993م، تفسير البحر المخيط، دار الكتب العلمية، بيروت.
15. شهاب الدين، الألوسي د.ت، تفسير روح المعاني دار إحياء التراث العربي، بيروت.
16. حسان، بن ثابت،1994م الديوان،، دار الكتب العلمية، بيروت،,
17. قطب، سيد، 2006م، مشاهد القيامة في القرآن، دار الشرق، مصر.